

من هم المثقفون؟!

<"xml encoding="UTF-8?>



بادرني زائر المشهود له في مجتمع المثقفين والذي ما عرفته إلا حاضراً فاعلاً بينهم ، وقد عاد لتوه من معرض الكتاب .. قال: أمرٌ محير حقاً، هل تعرّف لي مَنْ هو المثقف؟

ولم ينتظر جوابي.. فتابع:

يبدو أن مصطلح المثقف كمصطلحات كثيرة تتباين من حولنا ولم تجد، ويبدو أنه لن تجد تفسيراً لها.

يكثُر استعمال مصطلح "المثقف" من دون أن يتطلع أحد لتعريفه ووضع حدود له تنظم استعماله حتى لا يطلق على عواهنه في كل مناسبة وحدث، فبتنا نلاحظ صدور بيانات بعد اجتماعات أو واقعة ويستعمل مصطلح "المثقفين" الذين يؤيدون أو يستنكرون أو يوافقون أو يرفضون.

ومنذ أيام قرأت بياناً سياسياً يستذكر فيه المثقفون حدثاً معيناً، وعندما همممت بتصفح بعض الأسماء، وجدت أن واحداً منهم أعرفه ثم تابعت تمحيسي لأجد أسماء آخر أعرفها، واهتممت بالموضوع أكثر وراجعت بيانات واجتمعات أخرى... فرأيت التالي:

أحد "المثقفين" المدرجين في اللوائح لم يصل إلى الشهادة المتوسطة، وليس هذا عيباً وإنما انصرف إلى عمل حرفي ثم أخذ يتعرّف ويدخل بعض الأجراء الإجتماعية وأصبح له شأن، فحمل هذا اللقب!!

وآخر كان زميلاً في مدرستنا ثم خرج وإتّخذ له عملاً ميكانيكيّاً بسيطاً إلى أن شاعت الظروف أن يصبح من الأغنياء ... فأصبح إسمه يدرج في لائحة المثقفين كل مرة!!

وزميل ثالث لم أعرفه إلا بتعميق كلامه واكتاره من هوايته في إستعمال السجع والقوافي في كل شارد ووارد ... ففوجئت بأنه "مثقف شاعر" يصدر الدواوين ويشارك في هيئات "التوقيع" على الكتب... وأخبرني أحد أقاربه أنه لا يفارق مقهى يرتاده "المثقفون" على ضفاف أحد شوارع بيروت!!

فعلاً أمر محير، ما معنى "المثقف"؟

أتسائل بصدق!

هل هو صاحب شهادة أو مستوى علمي معين أو ينطق بلغات أو يتبع السياسة أو لديه معلومات عامة أو لديه

القدرة ليتكلم في المجتمع أو يشارك في الندوات أم اختصاص أم محصور بالأطباء والمهندسين أم تنضم إليهم فئة الأساتذة، وأي فئة من الأساتذة...؟

وماذا عن الفنانين والمطربين...الذين أيضاً يُنسبون لهذه الفئة، ومن هم الفنانون والمطربون؟

وماذا عن الفلاح والطالب وصاحب الحرفه..

وهل بات كل صاحب تاريخ يساري أو اشتراكي أو تجربة حزبية يُنسب أيضاً لهذه الطائفة؟!

فعلاً نحن بحاجة لتعريف واضح وجلٍ حتى لا تتدخل الأمور بعدهما بات استعمال هذا المصطلح شبه يومي وحتى لا يُظلم المثقفون ولا تُظلم الثقافة، ويبقى الأمر مستباحاً لكل طارئ وهما.

أمرٌ يشغل البال، خاصةً أننا نعلم فئة من أهل الرأي والحكمة والمسؤولية لم تساعدهم الظروف على البروز فلم يتشرفوا بالانتماء لطبقة المثقفين، وكثيرون غير ما ذكرت أعلاه نعرفهم وهم أصحاب مستويات علمية عادلة أو أقل ساقتهم الظروف للدخول في أحزاب أو جمعيات أو نشاطات إعلامية حتى لا نقول مؤسسات إعلامية... فأصبحوا خباء ومحللين ومثقفين بقدرة قادر!

أعتقد أن هذا الطلب طلب عام لا يعارضه أحد تماماً كاستعمال مصطلح "النخب" الذي أصبح مستهلكاً وممجوجاً إلى حد بعيد، فمن أريد مدحه ورفعه وإبرازه أصبح من "النخب" ومن لم يحالقه الحظ كان من "الجماهير الشعبية" الكادحة!

من حقنا أن نعلم كيف نستعمل هذه المصطلحات، لأنها من جهة ترفع قوماً أكثر من موقعهم الطبيعي السوي، فيفسدون ويُفسدون، ومن جهة أخرى تنقص من حقوق فئات شعبية كثيرة من الناس بل هي الأكثر، تحت عناوين ظالمة لأنهم من غير النخب وليسوا مثقفين بل هم من العوام.. فلا رأي لهم !

فمن لاعلاقات له، ومن لا إعلام له، يعيش معزولاً بين العوام،..... وينسب للصالحية المحروميين من نعمة حمل لقب "المثقف".

بكل المقاييس الإنسانية وغيرها لا يجوز الحديث مع قوم باستعلاء، ومع قوم آخرين باستخفاف، وكلهما ظلم ومجانبة للحقيقة.¹.

1. الموقع الرسمي لسماعة السيد سامي خضرا(حفظه الله).